# قراءة في عقائد الصابئة المندائيــة

أ.م.د.خميس سبع الدليمي
الجامعة المستنصرية-كلية التربية الأساسية

المقدمــة

**الصابئة:** اسم لطائفة دينية قديمة جدا ، لا يزال لأتباعها عقائد وشعائر دينية خاصة .

ولها كتب مقدسة ، وهي فرق متعددة أشهرها المندائية التي تؤمن بالله واليوم الآخر وتعتقد بالثواب والعقاب في الجنة والنار . إلاّ أن هذه (في نظرهم) العقيدة لم تكتسب بواسطة لسان نبي وإنما بنحو الفيض الإلهي (المعرفة) .

ويعتقد الصابئة المندائيون بأن للروحانيات (الملائكة) تأثيراً على مصير الأحياء ، وإن منهم من يعمل مساعداً للذات الإلهية في عملية الخلق وتدبر شؤون الكون ، لذا اتخذوا من الكواكب والنجوم مقراً لهم ومن هنا كان تعظيم الصابئة للكواكب والنجوم ، فالتعظيم في الأصل لا لذات الكواكب وإنما لما قر فيها من روحانيات ، ومن أجل ذلك سماهم الباحثون القدامى ((أصحاب الروحانيات)) .

وأصحاب الروحانيات هم مادة بحثنا ، مع الوقوف على معنى الصابئة في اللغة والتعريف بنشأتهم وبيان آراء فرقهم الأخرى وكتبهم وبيان ذكرهم في القرآن الكريم .

وبعد فهذه قراءة في عقائد الصابئة كرست جهدي للبحث فيها ، وهي عندي نواة لمشروع بحث أشمل عن هذه الطائفة .

فإن أصبت فذلك توفيق الله تعالى وإن كانت الثانية فحسبي الجهد الذي بذلت وسلامة قصدي والحمد لله رب العالمين .

الصابئة لغة

أهتم الباحثون بمعرفة اسم الصابئة لغوياً ، لأن في الاسم مدلولاً على شعائر الديانة وطقوسها .

وقد توصل الباحثون إلى آراء عدة حول الفعل الذي اشتقت منه كلمة الصابئة . تمحورت هذه الآراء في من أي اللغات الثلاث العربية ، العبرية ، الآرامية ، اشتقت كلمة الصابئة لتدل على الديانة الصابئية .

وإليك بيان هذه الآراء .

**١. اللغة العربية**

جاء في لسان العرب ، صبا يصبأ .. خرج من دين إلى دين آخر ، كما تصبو النجوم أي تخرج من مطالعها(١).

وكانت العرب تسمي البني (ص) الصابئ لأنه خرج من دين قريش إلى الإسلام .

**٢. اللغة العبرية**

يذهب بعض الباحثين إلى أن كلمى صابئ مشتقة من ((صبأوث)) بمعنى جند السماء، دلالة على أنهم يعبدون الكواكب(٢).

ويرى آخرون أن اسم الصابئة مشتق من كلمة (صبع) بمعنى طس ثم أسقطت العين إشارة إلى شعيرتهم الرئيسة وهي التعميد أو الغطس في الماء الجاري(٣).

**٣. اللغة الآرامية**

يرى الباحثون أن كلمة صابئ مأخوذة من الفعل ((صبا)) المندائي(*) بمعنى يرتمس، يغتسل ، يتعمد .

ولعل الراجح في هذه الآراء هو اشتقاق كلمة الصابئة من الفعل ((صبا)) في اللغة الآرامية الذي يعني الارتماس والاغتسال والتعميد (يرتمس ، يغتسل ، يتعمد) وذلك لما عليه الصابئة حتى اليوم من الارتماس والاغتسال والتعميد في الماء الجاري ، ولورود هذه الكلمة بهذا المعنى في كثير من طقوسهم الدينية(٤).

---

(١) لسان العرب لأبن منظور ، مادة صبأ .

(٢) أنظر : الصابئون في حاضرهم وماضيهم ، د. عبد الرزاق الحسني ، ص٣١ .

(٣) أنظر دائرة المعارف الإسلامية ، محمد فريد وجدي ، ٨٨/١٤ .

(*) يتكلم الصابئون الحاليون اللغة المندائية وهي لغة سامية قريبة من السريانية ولكن حروفها غير السريانية . ونحوها وصرفها مستقلان، وكان مشهورة في قديم الزمان ، ولا يوجد بين أفراد الصابئة اليوم من يتقن كتابة هذه اللغة إلاّ نفر قلي ، لأن رجال دينهم يحرصون على عدم إيقاف أبناء الطائفة على أسرار الديانة حتى لا يفلت الأمر من أيديهم . أما لغة المعاملات و المخاطبة بين الناس فهي اللغة العربية في العراق واللغة الفارسية في إيران ، حيث يسكن الصابئة . أنظر : الصابئون حرانيين ومندائيين ، د. رشدي عليان ، ص٢٦ .

(٤) أنظر الصابئون حرانيين ومندائيين ، ص٢٧ .

ولإطلاق بعض المؤرخين والباحثين قديماً وحديثاً اسم المغتسلة عليهم ، وهو اسم يترجم حالهم وفي الوقت نفسه يطابق معنى الفعل ((صبا)) الآرامي ويقترب من معنى الفعل ((صبع)) العبري ويبعد عن معنى الفعل ((صبا)) العربي و((صبأوث)) العبري[(١)].

قال ابن النديم : وكان بناحي دست ميسان[(*)] قوم يعرفون بالمغتسلة وبتلك النواحي والبطائح بقاياهم إلى وقتنا هذا[(٢)].

وقال العقاد : سموا بالصابئة لكثرة الاغتسال في شعائرهم وملازمتهم شواطئ الأنهار ، من أجل ذلك ، واشتقاق أسمهم من السبح أرجح من نسبة الاسم إلى ((الصبأوث)) العبرية بمعنى جنود السماء أي الكواكب التي اشتهروا بعبادتها[(٣)].

وقال غضبان رومي : أن كلمة صابئي بمعنى ((المتعمد)) لأن التعميد شعار كل صابئي ، وبالتعميد يرتسم الصابئ بصابئيته[(٤)].

الصابئة في القرآن الكريم

عد القرآن الكريم الديانة الصابئة من ضمن الديانات الكتابية . وغيرهم في المعاملة عن الوثنيين وقد اعترف بهم المسلمون كأصحاب دين .

وقد ورد ذكر الصابئيين في ثلاث آيات من القرآن الكريم ، وهي :

١. **{{ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئيين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا يحزنون}}** البقرة/٦٢ .

٢. **{{ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون }}** المائدة/٦٩ .

٣. **{{ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئيين والنصارى والمجوس والذين أشركوا أن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد}}** الحج/١٧.

والمتأمل في النص القرآني في الآية ١٧ من سورة الحج يدرك أن الله تعالى قد اعتبر الصابئة ديناً مستقلاً حيث لم يلحقه بغيره من الأديان الخمسة المذكورة في الآية . وأنه سبحانه قد فرق بين الصابئة كأهل دين وبين أهل الأديان الأخرى ، وهذا واضح من عطف ((**الذين أشركوا**)) على ما قبله ، وفيهم الصابئون ، والعطف يقتضي المغايرة كما هو معروف في اللغة ،

---

(١) المصدر السابق .

(*) ميسان : إحدى محافظات العراق الجنوبية ، ولا تزال موطن سكن الصابئة الرئيسة حتى يومنا هذا .

(٢) الفهرست لابن النديم ، ص٤٧٧ .

(٣) أبو الأنبياء للعقاد ، ص١١٢ .

(٤) تعاليم دينية لأبناء الصابئة ، غضبان رومي ، ص١٤ .

كما أنهم ليسوا يهوداً ولا نصارى ولا مجوساً للسبب نفسه ، وكذلك ليسوا هم تلك الطائفة من مشركي العرب التي ساورها الشك في عبادة الأصنام .

ومن ينعم النظر في الآية ٦٢ من سورة البقرة ، يجد أن الله تعالى طمأن من آمن به وباليوم الآخر وعمل صالحاً من الصابئيين ، ((وهذه إشارة واضحة إلى أن الصابئة أو فريقاً منهم ليسوا كفرة وليسوا ملحدين وإنما هم مؤمنون بالله واليوم الآخر)) [١]. هذا وقد أجمع فقهاء المسلمين على اعتبار الصابئيين من أهل الذمة رغم اختلافهم في اعتبارهم من أهل الكتاب[٢] .

نشأة الصابئة

كان الصابئة أقدم الأديان على وجه الدهر حتى بعث الله عز وجل إليهم خليله إبراهيم (ع) بدين الإسلام الذي نحن عليه الآن ، وتصحيح ما أفسدوه بالحنيفية السمحة التي أتى بها محمد (صلى الله عليه وسلم) فبين لهم ما أحدثوه من تعظيم الكواكب وعبادتها وعبادة الأوثان ، وكان إبراهيم الخليل (ع) وأتباعه يسمون بالحنفاء[*]. وقد حاججهم إبراهيم (ع) واستدل عليهم في حدوث الكواكب[٣]. وقد نص القرآن الكريم على ذلك بقوله ((لا أحب الآفلين)) الأنعام/٧٦.

لقد نشأت الصابئة نشأة رومية خالصة ولخم يكن هناك من فرق بينها وبين دين الحنفاء سوى أن الصابئة ينكرون نبوة أحد من البشر ويعتقدون بمتوسط روحاني للهداية والتعليم لأن الله لا يخاطب أحداً من البشر – في اعتقادهم – لخلق الروحانيات (الملائكة) ثم تلبست هذه الروحانيات بالكواكب النارية[٤].

إذن الصابئة تحتاج من معرفة الله ومعرفة طاعته وأوامره وأحكامه إلى متوسط ، لكن ذلك المتوسط يجب أن يكون روحانياً لا جسمانياً وذلك –في نظرهم– لزكاء الروحانيات وطهارتها وقربها من رب الأرباب ، والجسماني مثلنا – كما يزعمون: يأكل مما نأكل ، ويشرب مما نشرب فهو يماثلنا في المادة والصورة . بينما كانت الحنفاء تقول : إنا نحتاج في المعرفة والطاعة إلى متوسط من جنس البشر حتى تكون درجته في الطهارة والعصمة والتأييد والحكمة فوق الروحانيات ، يماثلنا من حيث البشرية ويمايزنا من حيث الروحانية ويلقى إلى نوع الإنسان بطرق البشرية[٥].

---

(١) أنظر : الصابئون حرانيين ومندائين ، ص٩٢ .
(٢) راجع : أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ، د. عبد الكريم زيدان ، ص١٣-١٥ .
(*) هم الفئة التي استجابت إلى دعوة إبراهيم (ع) .
(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للفخر الرازي ، ص٩٠ .
(٤) أبو الأنبياء ، ص١١٠ .
(٥) الملل والنحل للشهرستاني ، ١/٣٤-٣٥ .

وقد جرت بين الفرقتين الصابئة والحنفاء مناظرات يشير إليها القرآن الكريم من خلال محاجة خليل الله إبراهيم (ع) – كما ذكرنا – .

ولكن الصابئة لم تستمر على هذا الاتجاه الرومي الذي كانت عليه في أول عهدها بل انحدر فريق منهم إلى عبادة الكواكب فريق إلى عبادة الأصنام "لما لم يتطرق للصابئة الاقتصار على الروحانيات البحتة والتقرب إليها بأعيانها والتلقي بذواتها ، فزعت جماعة إلى هياكلها وهي السيارات السبع وبعض الثوابت . فصابئة النبط والفرس والروم مفزعها السيارات ، وصابئة الهند مفزعها الثوابت ، وربما نزلوا عن الهياكل إلى الأشخاص التي لا تسمح ولا تبصر ولا تغني عنهم شيئاً ، والفرقة الأولى هم عبدة الكواكب والثانية هم عبدة الأوثان . وكان الخليل مكلفاً بكسر المذهبين على الفرقتين ، وتقرير الحنيفية السمحة السهلة"[1].

فرق الصابئة

اشهر فرق الديانة الصابئية أربع هي[2]:

١. أصحاب الروحانيات (المندائيون) .
٢. أصحاب الهياكل .
٣. الحلولية (الحرانية) .

يرى كثير من الباحثين أن فرقة (أصحاب الروحانيات )هي الفرقة المشار إليها في القرآن الكريم وأنها أهم الفرق وأقربها إلى الصابئة الأقدمين ، ولعلها هي الأصل الذي تفرع عنه باقي فرقهم وأنها على الأرجح هي الفرقة المعاصرة (المندائية) التي يعيش أصحابها اليوم في العراق وإيران ، أما الفرق الأخرى فلم يعد لها وجود[3].

لقد آمنت الصابئة (فرقها جميعاً) بوجود إله خالق ولكنهم افترقوا ، فأصحاب الروحانيات غالوا في الاعتماد على (الملائكة) واعتبروهم شفعاء ووسطاء بينهم وبين الذات العلية وعرف هؤلاء – كما ذكرنا– بالمندائيين ، أما أصحاب الهياكل فغالوا في الاعتماد على هياكل الروحانيات واعتبروها آلهة وأرباباً وجعلوا الله تعالى رب الأرباب . واعتقدوا التقرب إلى الهياكل تقرب إلى الروحانيات والتقرب إلى الروحانيات تقرب إلى رب الأرباب . أما من انحدر إلى عبادة الأصنام التي صوروها على صور الهياكل ، اتخذوها وسيلة إلى الهياكل التي هي وسيلة إلى الروحانيات وهؤلاء أصحاب الأشخاص . أما من عبد الكواكب باعتبارها هي المدبرة للعالم السفلي واعتقدوا أن الله واحد في ذاته متكثر بالأشخاص في رأي العين لأنه يظهر في الكواكب

---

(١) المصدر السابق .
(٢) الصابئة قديماً وحديثاً ، عبد الرزاق الحسني ، ص١٦ .
(٣) أنظر : مقدمة كتاب الصابئة المندائيون ، نعيم البدري وغضبان رومي .

السبعة ( وهي الطوالع : الشمس والقمر والمريخ والمشتري وزحل وعطارد والزهرة) ويتشخص بأشخاص وسمى هؤلاء بالحلولية[1].

كتب الصابئة المقدسة

الكتب المقدسة هي المصادر الوحيدة لأديان العالم ، ولا توجد أمة لا تستمد ديانتها من كتب تعتقد بصدورها من مصدر سماوي ، والصابئة تقول أن دينهم من أقدم الأديان إن لم يكن أقدمها (وقد مر بنا شرح ذلك من خلال نشأة الصابئة) وقد توارثوا كتبهم المقدسة من آدم أبي البشر فإبراهيم الخليل فموسى فيوحنا المعمدان .

وأهم هذه الكتب :

١. كتاب (الكنزا ربا) أو (السدرا دادم) أي الكتاب العظيم أو الكتاب المنزل على آدم (ع) .
٢, كتاب (أدرافشه ديهي) أي تعاليم يحيى وهو أحدث تاريخاً من الأول ويتضمن حياة النبي يحيى (ع) وإرشاداته وتعاليمه الدينية .
٣. (القلستا) أي الفرح . وهو خاص بالبحث عن مراسيم الزواج والاحتفالات .
٤. (سدرا دنشماثا) أي كتاب النفوس وموضوعه البحث في مراسم الجنازة وتلقين الأموات.
٥. (الديونان) وهو سفر ضخم تذكر فيه قصص بعض الروحانيين وسيرهم .
٦. (أسفر ملواشي) أو (أسفر ملواشا) ومعناه سفر البروج الذي يتمكنون بواسطته من معرفة البرج الذي فيه الشخص ويستنبطون منه اسمه المقدس الذي يبقى محفوظاً لديهم ويعينون به طالع المولود .
٧. (الإيناني) أي الأناشيد أو الأذكار الدينية التي تتلى في الصلاة[2].

أصول الدين عند الصابئة المندائيين

يؤمن الصابئون المندائيون بالله وينزهونه غاية التنزيه ويصفونه بأرفع الصفات . ويؤمنون باليوم الآخر والحساب والجزاء والنعيم والعذاب في عالم النور وعالم الظلام . ويعتقدون بالملائكة وبأنهم مخلوقون لله وأن مقرهم الكواكب لذا يعظمون تلك الكواكب ، ويؤمنون بأنه لابد من متوسط روحاني (ملك) يهدي الناس إلى الحق ، ويكون شفيعاً ووسيطاً لهم عند الله .. ويعتقدون أن الكواكب هي هياكل هذه الروحانيات ، وأن نسبة الروحانيات إليها في التقدير لها والتدوير نسبة الأنفس الإنسانية إلى أبدانها ، وأن لكل روحاني هيكلاً يخصه ولكل هياكل فلكاً يكون فيه . وزعموا أن المعرّف لهم (غارميون وهرمس) اللذان هما أصل علم الهيئة . وهرمس هو أول من قسم البروج ووضع أسماءها وأسماء الكواكب السيارة ورتبها في بيوتها وبين الشرف والوبال والأوج والحضيض والمناظر والتثليث والتسديس والتربيع والمقابلة والمقارنة والرجوع

(١) أنظر : الصابئون حرانيين ومندائيين ، ص٤٦ .
(٢) الصابئة قديماً وحديثاً ، ص٦٠-٦١ .

والاستقامة والميل والتعديل ، واستقل باستخراج أكثر الكواكب وأحوالها . وقيل أن غارميون هو شيت و هرمس هو إدريس (عليهما السلام) [(١)].

وفيما يلي عرض لأهم المسائل الاعتقادية عند الصابئة وهي إيمانهم بالله والنبوة واليوم الآخر .

**١. عقيدتهم في الله (الخالق)**

يعتقد الصابئة المندائيون أن الله واحد أزلي أبدي ، لا أول لوجوده ، ولا نهاية له ، منزه عن عالم المادة والطبيعة . هو علة الأشياء ووجودها انبعثت من لدنه الحياة وإليه تعود وبه تتحد بعد أن تكمل قدرها . لا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق ، وأنه لم يلد ولم يولد، ليس له مثيل ولا شريك ، رب الخير الذي لا ينضب ، منتشر القوة ، متسلط على كل رغبة[(٢)].

**٢.عقيدتهم في النبوة**

يرفض الصابئة المندائيون نبوة أحد من البشر ، فإن معنى النبوة بمعنى أن يزود الله إنساناً بالدين والمعرفة وينزل عليه صحفاً أو كتباً أو يوحي إليه بشرع أو يبعثه ليتعلم الناس ويهديهم ويرشدهم إلى الشرع والدين . ذلك لأن المبعوث مشارك للمبعوث إليه في المادة والصورة .

ولكن يؤمنون بأن يكون هناك مخلوق متوسط بين الروحانية والمادية ، يهدي الناس إلى الحق ، يستمد المعرفة من الحرة القدسية ، ويفيض الفيض على الموجودات السفلية ، فكلام الله – في نظرهم – لا يصل إلى الناس إلاّ بواسطة مخلوق بين النور والتراب ، ويذهبون إلى أن الإنسان الذي يطهّر نفسه ويهذب أخلاقه ويروض نفسه على الطاعة والعبادة يحصل لنفسه استعداد واستمداد من غير واسطة ويكون حكمه وحكم من يدعي

الوحي (النبي) على وتيرة واحد ة ومن هذا القبيل – في نظرهم – آدم وشيت وإدريس ويحيى عليهم السلام فهم ليسوا أنبياء بالمفهوم المعروف للنبوة عند أهل الأديان المنزلة وإنما هم أناس طهروا أنفسهم عن دنس الشهوات ، وروضوها على الطاعات حتى توصلوا بنوع من الكشف إلى المعارف العليا ، وتذوقوا تلك المعارف تذوقاً مباشراً ولذلك يصفونهم في كتبهم المقدسة بأنهم معمون معرفيون .. وإذا ما وصفوهم بالأنبياء فإنما يقصدون أنهم معلمون يستمدون معارفهم بطريق الكسب والتذوق المباشر لا بطريق الوحي ولا بواسطة الاستنتاج والاستدلال والتشريعات

---

(١) المصدر السابق ، ص١٧ .

(٢) أنظر : مقدمة كتاب الصابئة المندائيين ، ص٢١ ؛ وأنظر : الصابئة قديماً وحديثً ، ص٢٨ ؛ وأنظر: الصابئون حرانيين ومندائيين ، ص١٠٠ .

والكتب التي ينسبها المندائيون إلى هؤلاء المعرفيين لم يدعوا أنها منزلة عليهم من الله وإنما هي من معارفهم بواسطة الكشف والفيض الإلهي ليس غير[١].

**٣.عقيدتهم في الموت واليوم الآخر**

يعتقد الصابئة المندائيون أن الموت انتقال لا فناء واندثار . فالروح بعد أن تخرج من هذا العالم ، لا تغني ولا تنعدم ، وإنما تنتقل من عالم إلى آخر فتتصل بعالم الأنوار إن كانت طيبة وتبقى حية مخلدة في ذلك العالم متنعمة بأنواع الملذات ، وتنتقل إلى أنواع العذاب إن كانت خبيثة[٢].

المصادر والمراجع


١, إبراهيم أبو الأنبياء ، عباس محمود العقاد ، ط١ ، القاهرة ١٩٥٣م .
٢. أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ، د. عبد الكريم زيدان ، ط١ ، بغدد .
٣. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، للإمام فخر الدين الرازي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٨م .
٤. دائرة المعارف الإسلامية ، محمد فريد وجدي ، ط٣ ، دار المعرفة ، بيروت .
٥, لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن كرم أبن منظور ، بيروت ١٩٥٦م .
٦. الصابئون حرانيين ومندائين ، د. رشدي عليان ، بغداد ١٩٧٦م .
٧, الصابئون في حاضرهم وماضيهم ، عبد الرزاق الحسني ، ط٤ ، بيروت ١٩٧٠م .
٨, الصابئة قديماً وحديثاً ، عبد الرزاق الحسني ، المطبعة الرحمانية ، مصر .
٩. الصابئة المندائيون ، ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي ، بيروت ١٩٦٤.
١٠. الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لأبن حزم الأندلسي ، مكتبة المثنى ، بغداد .
١١, الفهرست ، لابن النديم ، نشر مكتبة خياط ، بيروت ١٩٦٤م .
١٢. الملل والنحل ، للشهرستاني ، دار الاتحاد العربي للطباعة ١٩٦٨م .


(١) أنظر : الصابئون حرانيين ومندائيين ، ص١٠٤ .

(٢) أنظر : الصابئة قديماً وحديثاً ، ص٣٤ .